

تفسير البحر المحيط

@ 162 @ إذ كان من خلقه عليه الصلاة والسلام الحرص على إيمانهم ، وفي ذلك وعيد للكفار ، ووعد للمؤمنين . .

{ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } : أخبر أن من في العالم العلوي والعالم السفلي ملكه تعالى ، يتصرف فيهما بما شاء . واللام في { لِيَجْزِيَ } متعلقة بما دل عليه معنى الملك ، أي يضل ويهدي ليجزي . وقيل : بقوله : { بِإِمَانٍ مِّمَّنْ } ، و { بِإِمَانٍ } اهْتِدَآءٌ ، واللام للصيرورة ، والمعنى : إن عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء بما علموا ، أي بعقاب ما علموا ، والحسن : الجنة . وقيل : التقدير بالأعمال الحسنى ، وحين ذكر جزاء المسيء قال : بما علموا ، وحين ذكر جزاء المحسن أتى بالصفة التي تقتضي التفضل ، وتدل على الكرم والزيادة للمحسن ، كقوله تعالى : { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا سَنًا } . والسن : كالتدريج ، والمعنى : والأحسن تأنيث الحسن . وقرأ زيد بن علي : لنجزي ونحزي بالنون فيهما . .

وتقدم الكلام في الكبائر في قوله تعالى : { إِنَّ تَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا سَنًا } . والكبائر في سورة النساء . والذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر ، والفواحش معطوف على كبائر ، وهي ما فحش من الكبائر ، أفردتها بالذكر لتدل على عظم مرتكبها . وقال الزمخشري : والكبائر : الذنوب التي لا يسقط عقابها إلا بالتوبة . انتهى ، وهو على طريقة الاعتزال . { إِلَّا لِلَّهِ } : استثناء منقطع ، لأنه لم يدخل تحت ما قبله ، وهو صغار الذنوب ، أو صفة إلى كبائر الإثم غير اللطم ، كقوله : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ الْكَافِرِينَ } . أي غير { لَفَسَدَتَا } . وقيل : يصح أن يكون استثناء متصلًا ، وهذا يظهر عند تفسير اللطم ما هو ، وقد اختلفوا فيه اختلافًا ، فقال الخدي : هو النظرة والغمزة والقبلة . وقال السدي : الخطرة من الذنب . وقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي والكلبي : كل ذنب لم يذكر في القرآن تعالى عليه حداً ولا عذاباً . وقال ابن عباس أيضاً وابن زيد : ما أُلْمُوا به من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الإسلام . .

وعن ابن عباس وزيد بن ثابت وزيد بن أسلم وابنه : أن سبب الآية قول الكفار للمسلمين : قد كنتم بالأمس تعملون أعمالنا ، فنزلت ، وهي مثل قوله : { وَأَن تَجْمَعُواْ بَيِّنَاتٍ } . وقال ابن عباس وغيره : العلة والسقطة دون دوام ، ثم يتوب منه . وقال الحسن : والزنا والسرقة والخمر ، ثم لا يعود . وقال ابن المسيب : ما خطر على القلب . وقال نفطويه : ما

ليس بمعتاد . وقال الرمانى : الهم بالذنب ، وحديث النفس دون أن يواقع . وقيل : نظرة
الفجأة . { إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ } ، حيث يكفر الصغائر باجتناّب الكبائر .
وقال الزمخشري : والكبائر بالتوبة . انتهى ، وفيه نزعة الاعتزال .
{ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ } : قيل نزلت في قوم من اليهود عظموا أنفسهم ، وإذا مات طفل
لهم قالوا : هذا صديق عند الله . وقيل : في قوم من المؤمنين فخروا بأعمالهم ، والظاهر
أنه خطاب عام ، وأعلم على بابها من التفضيل . وقال مكى : بمعنى عالم بكم ، ولا ضرورة
إلى إخراجها عن أصل موضوعها . كان مكياً راعى عمل أعلم في الطرف الذي هو : { إِذْ
أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ } ، والظاهر أن المراد بأنشأكم : أنشأ أصلكم ، وهو آدم .
ويجوز أن يراد من فضلة الأغذية التي منشؤها من الأرض ، { فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ } :
أي لا تنسبوها إلى زكاء الأعمال والطهارة عن المعاصي ، ولا تثنوا عليها واهضموها ، فقد
علم الله منكم الزكي والتقى قبل إخراجكم من صلب آدم ، وقبل إخراجكم من بطون أمهاتكم .
وكثيراً ما ترى من المتصلحين ، إذا حدثوا ، كان وردنا البارحة كذا ، وفاتنا من
وردنا البارحة ، أو فاتنا وردنا ، يوهمون الناس أنهم يقومون بالليل . وترى لبعضه في
جبينه سواداً يوهم أنه من كثرة السجود ، وبعضهم احتضار النية حالة الإحرام ، فيحرك
يديه مراراً ، ويصعق حتى ينزعج من بجانبه ، وكأنه يخطف شيئاً بيديه وقت التحريكة
الأخيرة ، يوهم أنه يحافظ على تحقيق النية . وبعضهم يقول في